

المضايقة بين الأقران في المحيط المدرسي school bullying

فوزية غماري *

في شهر سبتمبر من السنة الدراسية 2000/1999 قام تلميذ في السنة السابعة أساسي بالاعتداء على زميله بنفس القسم بواسطة السلاح الأبيض أودى بحياة هذا الأخير. هز هذا الحادث الأوساط التربوية و أوقع صدمة لدى الأولياء، المعلمين و التلاميذ أنفسهم. و قد انعقد إثر هذا الحادث الخطير و لأول مرة في الجزائر ملتقى وطني لمكافحة العنف والآفات في الوسط المدرسي نظمته مفتشيه محافظة الجزائر الكبرى أيام 23 و 24 جانفي من سنة 2000.

و من جهة أخرى ورد في إحدى التقارير الصادرة عن وزارة التربية الوطنية أن " العنف المدرسي في تصاعد مستمر و أن الأرقام التي بحوزة الوزارة لا تمثل سوى تلك المعلن عنها رسميا في حين يوجد رقم أسود غير معلن عنه إذ يمثل العنف الممارس داخل المؤسسات التربوية أي بين التلاميذ أنفسهم حسب آخر الأرقام المقدمة من قبل وزارة التربية الوطنية 4725 حالة) "جريدة الخبر، 9 ماي 2007

فمن الضروري و الواجب علينا كمختصين و باحثين أن نشير إلى أهمية و ضرورة الكشف و التكفل المبكر بهؤلاء المراهقين الذين يعيشون ضغوطات و أزمات و إحباطات و صراعات تؤدي بهم إلى الاضطراب و الانحراف و الدخول في دوامة العنف .

لذلك يجب أن نتفطن إلى أهمية دور المدرسة في حياة الطفل و المراهق فهي بمثابة المحيط الاجتماعي الثاني بعد الأسرة إذ لا تسمح باكتساب المعارف و المعلومات فحسب بل تعمل على تحقيق التفاعل و التبادل و التواصل و تحقيق الذات.

فكلما توجهت المدرسة نحو مساعدة المراهقين على بناء مشاريعهم و معارفهم عن العالم المحيط بهم و تصورات واضحة لمستقبلهم و حققت لهم الأمن و الطمأنينة و احترمت شخصيتهم وميولهم وشجعتهم على تجاوز الفشل واسترجاع الثقة ومواجهة الصعوبات كلما اتخذ المراهقون

* طالبة ماجستير في علم النفس الصدمي، جامعة الجزائر.

قيما إجتماعية إيجابية وابتعدوا عن سلوكات الإنحراف و العزلة وسوء التكيف .ذلك ما تنوه به معظم الدراسات الآن حسب Trogger من حيث أن العنف أقل شيوعا في المدارس التي تتميز فيها الفرق التربوية بالتماسك ، التضامن والطيبة والتعاطف (Les mécanismes de la violence;2006:p111)

لذلك سنحاول التطرق إلى أشكال العنف المتواجدة في المحيط المدرسي ، ثم التعرض لمفهوم المضايقة بين الأقران كشكل من أشكال العنف بين التلاميذ في المدارس والآثار الخطيرة التي يمكن أن تترتب عنه.ذلك أن التصور الشائع يعتبر التعرض لهذا النوع من السلوكات تجربة عادية وغير مؤذية في حياة الطفل مما يجعل الراشدين يتقبلونها أو لا يهتمون بها .

ما هي أشكال هذا العنف المدرسي ؟

توصلت إحدى الأبحاث المنجزة من طرف مركز البحث في الاقتصاد المطبق للتنمية (Cread) حول العنف المدرسي مست 531 تلميذ من مستويات التعليم الابتدائي ، المتوسط والثانوي إلى أن العنف المدرسي الذي عبر عنه التلاميذ أولاد وبنات يتمثل عموما في عدد قليل من الحوادث الخطيرة والجرائم مقابل عدد كبير من الحوادث اليومية المتكررة والمتراكمة منها: الضرب بأشكاله المختلفة ، الشتائم، الإذلال، غياب الاحترام و العدل والإصغاء والتفهم. وهي من مظاهر العنف المعنوي الذي يسيء لحياة التلاميذ في المدارس .لذلك انصب اهتمامنا على ظاهرة المضايقة بين الأقران والتي هي عبارة عن مجموع اعتداءات متكررة لطفل مسيطر على طفل ضحية .

مفهوم المضايقة بين الأقران (School Bullying)

يعتبر Dan Olweus من الباحثين الذين اهتموا بدراسة السلوك العدواني عند الولاد في السبعينات حيث قام بدراسة واسعة في المدارس النرويجية على 140 000 شاب تتراوح أعمارهم من 8 و 16 سنة ويعود إليه الفضل حسب المؤتمر التربوي لصحة المراهقين في الكشف عن ظاهرة المضايقة بين الأقران وخاصة بعد حادثة انتحار ثلاث شبان صغار في النرويج في بداية الثمانينات إثر تعرضهم للمضايقة من طرف

بعض أقرانهم بصفة ملحمة و متكررة (American Medical Association; May 2002)

و يتمثل تعريف (1987) Olweus للمضايقة بين الأقران School Bullying "في " : يكون التلميذ مضايقا عندما يتعرض بصورة متكررة و طيلة الوقت و باستمرار لأعمال سلبية من طرف تلميذ أو تلاميذ آخرين (Cité par, Horton; 2006)

و تتمثل الأعمال السلبية حسب الباحثة الكندية (1997) Bidwell في قيام أحدهم بصفة متعمدة بالإيقاع أو محاولة إيقاع جرح أو إزعاج و ضيق لشخص آخر . و هذه الأعمال السلبية قد تكون في نفس الوقت لفظية (مثل التهديد ، الحط من قيمة الآخر ، السخرية) و غير لفظية (مثل الضرب ، الركل ، الصفع ، الدفع ، تحطيم أملاك الآخرين ، حركات فضة وخشنة... إلخ).

و في (1994) وصف Olweus المضايقة بأنها نوع خاص من الاعتداء حيث يقوم الشخص بالهجوم المادي على شخص آخر ضعيف القوة و تهديده و جعله يشعر بالخوف ، الانزعاج والاستياء لفترة مستمرة من الزمن وذلك بسبب الصدمة الانفعالية التي تتبع مثل هذا الهجوم من جهة و بسبب الخوف من معاودة تكرار هذه الهجمات من جهة أخرى (Bidwell:2007) .

و هذا التعريف يشير إلى أن المضايقة تختلف عن الشجار الذي قد يحدث بين شخصين يتمتعان بنفس القوة .

خصائص المضايقة بين الأقران

يتفق مجموعة من الباحثين منهم (1993) Smith ، Olweus (1992، 1991) و (1989) Bezag على أن المضايقة بين الأقران تتميز بخصائص منها:

- قد تكون جسدية أو نفسية مثل النبز بالألقاب ، السخرية، الإشاعات، عزل الضحية عن باقي الرفاق.
- التمييز العنصري (Racisme) الذي قد يأخذ في بعض الأحيان أشكال النبز والشتم والضرب.
- الابتزاز (Racket).
- التعمد والقصد في إيذاء الآخر.
- صعوبة الضحية في الدفاع عن نفسها . (ضعف، خجل

- تكرار المضايقة واستمرارها في الزمان .
فالمدة و الزمن يمثلان مؤشرين أساسيين في موضوع المضايقة و يخضعان لمرونة كبيرة. إذ يؤكد كل من (Olweus 1978; 1973) و (Roland 1989) أن العنف الذي يتم الإفصاح عنه لا يمكن اعتباره مضايقة إلا إذا حدث الاعتداء على الأقل مرة في الأسبوع و لمدة شهر . في حين نجد (Lowenstein 1978) يتحدث عن عنف يدوم ستة أشهر. و هناك باحثون آخرون أقل تشددا فيما يخص مبدأ التردد و التكرار إذ قام كل من Smith و (Levan 1995) باستجواب أفراد عينتهم "إذا كانوا قد تعرضوا للمضايقة في هذا اليوم ، في هذا الأسبوع ، في هذا الثلاثي " . كما يشيران إلى المضايقة العارضة "occasionnelle" خلال الفصل أو الثلاثي الحالي و يعملان على حوصلة عدد التلاميذ الذين يصرحون بأنهم ضحايا على الأقل أكثر من مرة أو مرتين (Cité par, Blaya ; 2002)

أما الشهود الذين يشهدون حوادث المضايقة فيمكن اعتبارهم ضحايا غير مباشرة لهذه التجارب باعتبار الإحساس بالأمن والخوف الذي يحدثه تهديد التلاميذ من جهة و عدم اهتمام الإدارة بالموضوع . فالطفل و المراهق يصبحان هشين عندما لا يهتم الراشدون بهذه الاعتداءات و يسهمون في نمو سياق اجتماعي مشجع للإيقاع بالضحايا مما يؤدي إلى تدهور المناخ الدراسي . إذ تقول إحدى تلميذات عينة البحث: "تتم مضايقة تلاميذ 1 متوسط من طرف تلاميذ 2 متوسط و المدرسة ليست آمنة لأنه يتم تهديد التلاميذ إن أخبروا عن التلميذ الذي قام بالمضايقة إلى المعلمين "

الهدف من البحث

يتمثل الهدف من هذا البحث في الكشف عن عن مدى تواجد وانتشار ظاهرة المضايقة بين الأقران في مرحلة التعليم المتوسط ، أشكالها و أماكن وقوعها ونتائجها على مستوى نفسية التلاميذ وخاصة بعد أن تم تشخيصها في العديد من الأبحاث كعامل مسبب للضغط لتأثيرها على المناخ الدراسي، النجاح و العواقب النفسية الخطيرة التي قد تتجم عنها مثل القشل المدرسي ، مشاكل التغيب ، فقد الثقة في الذات مما قد يؤدي إلى سلوكات عنف على الذات (auto-violentes) مثل انتحار الضحية .
(Cité par, Débarbieux ; 2006)

منهج البحث

اعتمدنا في هذا البحث على وصف التلاميذ لما يعيشونه من مضايقات جسدية ونفسية من طرف أقرانهم ومدى انتشارها في مرحلة التعليم المتوسط ، أشكالها، أماكن وقوعها ،مدى تدخل كل من المعلمين والتلاميذ للحد من هذه الاعتداءات وتصور التلاميذ للأمن في مدرستهم .ورغم أن البيانات و النتائج المتوصل إليها كمية إلا أن تعبير التلاميذ عن آرائهم ومواقفهم من هذه المضايقات و الآثار التي قد تتركها في نفوس التلاميذ الضحايا زادادعما لهذا البحث.

تم إستيقاء المعلومات و البيانات بواسطة والبيانات بواسطة المقياس الأصلي المصمم من طرف Olweus في 1989 (Shortened bullying questionnaire) الذي سمح له آنذاك بالكشف عن مدى خطورة انتشار هذه الظاهرة في الوسط المدرسي وتصميم برنامج خاص بالتدخل و الوقاية من المضايقة . هذا المقياس متوفر باللغة الإنجليزية ، النرويجية والسويدية، لم يسبق استعماله في البيئة الجزائرية.

العينة

تم تطبيق المقياس جماعيا في قاعات الدرس على 490 تلميذ موزعين على مستويين:

- مستوى السنة الثانية متوسط ويشمل 247 تلميذ بنسبة % 50.40 موزعين على سبعة أفواج.
- مستوى السنة الثالثة متوسط ويضم 243 تلميذ بنسبة % 49.59 موزعين على سبعة أفواج.

لقد تم إختيار هذه الأفواج بطريقة عشوائية في سبع متوسطات بولاية الجزائر العاصمة. أما السن فيتراوح سن أغلبية تلاميذ عينتنا بين 11 و 16 سنة. وتتمثل نسبة الذكور في % 48.20 و الإناث في % 51.80 .

نتائج البحث

1- مستويات التعرض للمضايقة من طرف الأقران

النسبة المئوية	عدد التلاميذ	مستويات التعرض للمضايقة
15.10%	74	عدم التعرض
72.90%	357	تعرض خفيف
10.40%	51	تعرض متوسط
1.60%	08	تعرض شديد
100%	490	المجموع

يكشف لنا هذا الجدول بأن 416 تلميذ من عينة البحث قد صرحوا بتعرضهم للمضايقة منذ بداية السنة الدراسية 2006/2007 أي بنسبة % 84.89 في حين أن % 15.10 منهم فقط صرحوا بعدم تعرضهم للمضايقة خلال نفس السنة الشيء الذي يؤكد وجود ظاهرة المضايقة في واقع مدارس التعليم المتوسط بين تلاميذ تتراوح أعمارهم بين 11 و16 سنة. وإن كان من الصعب تحديد درجة خطورتها أو درجة تأثيرها على التلاميذ إلا أننا توصلنا إلى الكشف عن مستويات هذه المضايقات. إذ تبين أن % 72.90 من التلاميذ قد تعرضوا لمضايقات خفيفة من طرف أقرانهم أي "مرة أو مرتين" منذ بداية السنة الدراسية فهي عارضة ومنفرقة في الزمان. كما عبر عن ذلك أحد التلاميذ:

" توجد مضايقة خفيفة من بعض الأصدقاء (عبارات لفظية)"

وتشير إحدى التلميذات إلى توسع وانتشار هذه السلوكات:

" تتوسع دائرة المضايقة لكثرة التلاميذ وأحيانا لتعذيب التلاميذ غير القادرين على حماية أنفسهم بألفاظ وكلام جارح والإدارة لاتقوم بمتابعة الشكوى"

كما تبين أن % 10.40 من التلاميذ قد تعرضوا لمضايقة متوسطة أي "أكثر من مرة أو مرتين" منذ بداية السنة الدراسية و % 01.60 قد تعرضوا لمضايقة شديدة أي "مرة في الأسبوع" و "عدة مرات في الأسبوع". وإذا أخذنا بطريقة كل من الباحثين Smith و Levan اللذان كانا يقومان بحوصلة عدد التلاميذ الذين يصرحون بأنهم ضحايا على الأقل "أكثر من

مرة أو مرتين (Cité par Blaya:2002)"فيمكننا حوصلة 59 تلميذ ضحية مضايقة أي بنسبة % 12 من مجموع عينة البحث. وهذه النسبة تتقارب مع ما أدلى به التلاميذ من خلال السؤال المفتوح، إذ تبين لنا أن % 10.20 من تلاميذ العينة اعترفوا بوقوعهم ضحية مضايقة كما يقول تلميذ في سن الثالثة عشرة:

" يوجد بعض التلاميذ يضايقوني ب'كنيش' بالنسبة إلى شعري وذلك يؤلمني ويوجد بعض التلاميذ يضربوني "

وقد توصلنا أيضا إلى أن % 07.55 منهم قد شهدوا حوادث مضايقة و % 02.24 منهم اعترفوا بأنهم مضايقون لأقرانهم في حين تبين أن % 02.85 بأنهم ضحايا للمضايقات وفي نفس الوقت هم مضايقون وهذا النوع من التلاميذ يلجئون عموما إلى استراتيجيات المضايقة للدفاع عن أنفسهم أمام مضايقة الآخرين لهم، كما تعبر عن ذلك تلميذة في سن الخامسة عشرة: "في مدرستي هناك كثير من البنات و الذكور يضايقوني في بعض الأحيان ولكنني لا أسكت وأضايقهم بضعف مقدار مضايقتهم لي لهذا لا أتأثر بهم عندما يضايقوني خاصة في المدرسة أو في الشارع"

أما بعض التلاميذ فيعيشون هذه التجربة بتأهب واستعداد للهجوم دفاعا أمام أي محاولة للاعتداء عليهم كما يعبر أحد التلاميذ في سن 16 :
" المضايقة تكون في المدرسة مثل الأروقة وخارج المدرسة وتكون بعنف شديد وبالشتم والرخس ومجموعة كبيرة تحب المكاملة بشدة وأنا لا أخاف منهم والذي يضايقني أقتله والذي يضايق أخي أضايقه إلى الممات بالسلاح الأبيض"

الواضح من نتائج هذا المقياس أن المضايقة ظاهرة معروفة وشائعة بين التلاميذ في مرحلة التعليم المتوسط قد تكون خفيفة على البعض وقد تشدد على البعض الآخر وتؤدي إلى الانزعاج. فالتلاميذ يميلون إلى مضايقة بعضهم البعض على سبيل المزح واللعب ولكن يعترفون في نفس الوقت بأنها مضرّة وخطيرة كما عبر عن ذلك تلميذ في قسم الثالثة متوسط:

" رأيي في المضايقة هي من جهة مزح ولعب ولكن من جهة أخرى هي تؤلم وتقلق وتمل في بعض الأحيان يكون التلميذ ولا يأتي إلى المدرسة ويهرب إلا من المضايقة ونعم هي عادة سيئة وسيئة جدا وإنشاء الله لا نعود نضايق الآخرين" وبذلك يستنتج التلميذ أن التغيب و

الهروب من المدرسة هي الوسيلة الوحيدة عند بعض التلاميذ للتخلص من المضايقة كما ورد في دراسة للباحثين Sharp و Thompson حول 723 تلميذ من التعليم الثانوي أن 20 % منهم يصرحون أن تغيبهم عن المدرسة هو بهدف تجنب المعتدين (Cité par, Blaya:2002).

2- الأماكن التعرض للمضايقة من طرف الأقران

النسبة المئوية	التكرار	أماكن وقوع المضايقات
49.38%	242	في القسم
40%	196	في الطريق من/أو إلى المدرسة
29.18%	143	في الساحة أو في فترة الاستراحة
22.44%	110	في الأروقة
13.67%	67	في المرحاض
10.20%	50	المجموع

يتضح لنا من خلال هذه البيانات أن المضايقات تقع غالبا في قاعة الدرس مما يؤكد نتائج الدراسات السابقة التي توصلت إليها إحدى الباحثات بالمرصد الأوروبي للعنف المدرسي من حيث أن التلاميذ يتعرضون للمضايقة من طرف أقرانهم الذين يعرفونهم جيدا ويعرفون عيوبهم ونقاط ضعفهم فهم يقضون معظم أوقاتهم معهم (Blaya:2002) كما أن المعلمين لا يهتمون بهذه السلوكات ولا يحاولون الحد منها إذ يرجع المر حسب إحدى الدراسات الكندية إلى تصور المعلمين في حد ذاته لهذه السلوكات ، إذ لا يؤمنون بأن المضايقة بين الأقران يمثل مشكلا خطيرا في أقسامهم (Bidwell:1997) ذلك ما تعبر عنه تلميذة في قسم الثالثة متوسط:

" المضايقة ليست من التلاميذ فقط بل من المعلمين أيضا ليس كلهم بل بعضهم والمضايقة من التلاميذ لا تكلم عنها لأنها أكثر. مثلا صباحا

قرأت جملة في اللغة الفرنسية رغم أنني أحسن هذه اللغة أخطأت في كلمة وأصبح الذكور كلهم حولي يضايقوني ويعيدونها كل مرة والأولاد في الفناء أيضا يضايقوني في اللباس ويضحكون ورغم كل هذا فإني أخفيت هذا في قلبي وخاصة المعلمون الحاليون قد أصبحوا مثل التلاميذ وأنا أكره كل هذا وأتمنى أن أتحدث إليكم وأخاطبك صريحة"

أما الأماكن الأخرى التي تكثر فيها المضايقات بين التلاميذ بعد القسم فهي الأماكن التي يلتقي فيها التلاميذ ويتدافعون عند الخروج من المدرسة أو عند الالتحاق بها وذلك بنسبة % 40 ثم تليها الساحة بنسبة % 30 ثم الأروقة بنسبة % 22.44 والمرحاض بنسبة % 13.67. أما في البلدان الأنجلوساكسونية مثل بريطانيا فقد اتضح أن المضايقة بين الأقران تقع في الساحة بنسبة تفوق % 50 .

3- أشكال ومظاهر المضايقة بين الأقران

النسبة المئوية	التكرار	أشكال المضايقة
40.81%	200	التسمية بأسماء جارحة ومؤذية
35.91%	176	المضايقة بسبب علاقات عاطفية
31.22%	153	السخرية بطريقة غير لائقة
21.22%	104	التهديد مع الإيذاء
20.40%	100	مضايقة عرقية
18.57%	91	الركل أو الضرب
14.69%	72	التهميش والعزل المتعمد

تشير البيانات أعلاه أن العنف اللفظي ينتشر بين تلاميذ عينة بحثنا ويعتبر من أهم مظاهر المضايقة التي يعانيها التلاميذ الضحايا ويأخذ أشكالا مختلفة منها التسمية بأسماء جارحة ومؤذية وذلك بنسبة % 40.81. وتعتبر تلميذة عن ذلك في سن الرابعة عشرة: " أظن أن موضوع المضايقة هو موضوع خطير جدا لأنه يؤثر على مشاعر الآخرين لأن المضايقون يجرحونهم بالكلام وهذا شيء من قلة التربية وأريد منكم من فضلكم أن تضعوا حدا لهذا"

أما المضايقات بسبب العلاقات العاطفية فتتمثل أيضا بنسبة هامة أي 36% تقريبا وذلك لتزايد الاهتمام بالجنس الآخر في هذه المرحلة .وهذا النوع من الاعتداءات غير مرئي وغير مباشر إذ يظهر عموما من خلال نشر الإشاعات والتحدث عن الأمور الخاصة للآخرين بهدف لإيذائهم وجرح مشاعرهم والتلاعب بالصدقات من خلال محاولات إفقاد فتاة من أعز أصدقائها.

أما السخرية فتتمثل بنسبة 31.22% وهي من المظاهر الهامة للمضايقة بين القران إذ تعبر إحدى التلميذات في سن الخامسة عشرة " : في المدرسة هناك مضايقات متكررة من طرف تلاميذ عدة بسبب شكلي أو مظهري الخارجي وبعض الأوقات يسخرون أصدقائي من سرعتي في الكلام وهذا يضايقتني حقا لأنني أحس أنني أقل منهم وأرجو أن تتوقف هذه المضايقة لأنها ترعجني بشدة وتصل إلى درجة البكاء الشديد "

المضايقة بسبب العرق والأصل هي الأخرى من المظاهر الشائعة ولو بصفة لفظية . أما التهديد والإيذاء فيمثل 21.22% فهو يأخذ شكل الابتزاز عموما كما يعبر عن ذلك تلميذ في سن الرابعة عشرة " :يتم تهديد الأطفال على أن يسرقوا أولياءهم لشراء المخدرات والغراء والدخان وتقوم البنات التي لا تحب الدراسة بهذا الفعل أيضا "

أما الضرب والركل فهو من الأشكال الأقل شيوعا بين التلاميذ فلا يمثل سوى 18.57%.

إن الاعتداءات الجسدية رغم تواجدها ليست غالبية ذلك أنه اتضح لنا أن التسمية بأسماء جارحة والسخرية والتهديد من الأشكال الأكثر إيلاما في غياب تدخل الراشدين . إذ نجد الإحساس بالآامن في المدرسة والخوف من المضايقين في تعبير بعض التلاميذ " : المؤسسة التي ندرس فيها ليست مكانا آمنا للتلاميذ الذين يجدون صعوبة في الدفاع عن أنفسهم أوحتى إخبار أحد ما بما يحدث له من مضايقات خوفا من تهديدات التلاميذ الذين يضايقونهم "

4- جنس المضايقيين (Bullies)

النسبة المئوية	التكرار	المضايقون
36.32%	178	أولاد
14.08%	69	بنات
05.90%	29	بنات وأولاد

يكشف لنا الجدول أعلاه أن المضايقة تقع من طرف الأولاد سواء كان المعتدي بمفرده أو مجموعة أولاد وذلك بنسبة 36.32 في حين أن المضايقة من طرف البنات لاتمثل سوى 14.08 فقط. وتعتبر عن ذلك تلميذة في سن الثالثة عشرة:

"في يوم من الأيام كنت أمشي في ساحة المدرسة فرأيت 4 أو 5 تلاميذ مجتمعين بتلميذين فضربوهما وفجأة جاءت مجموعة أخرى منعوهم من ضربهم وفي الأخير جاء المدير وأخذهم إلى المكتب "

5- تدخل المعلمين والتلاميذ لوضع حد للمضايقات

النسبة المئوية	التكرار	المتدخلون في حوادث المضايقة
36.93%	181	المعلمون
55.91%	274	التلاميذ

تكشف لنا نتائج هذا البحث أن التلاميذ يتدخلون أكثر من المعلمين لإيقاف ووضع حد للمضايقات بين أقرانهم وذلك بنسبة % 56 تقريبا وذلك لاحتكاكهم بأقرانهم طوال تواجدهم بالمدرسة ومشاهدتهم المباشرة لحوادث المضايقة مقارنة بالمعلمين الذين يتدخلون بنسبة % 37 فقط رغم أن حوادث وسلوكات المضايقة تقع عموما في القسم بنسبة % 50 كما توصلت إليها نتائج بحثنا. ويشير تلميذ في سن الخامسة عشرة إلى ذلك:

"في مدرستنا توجد المضايقة بكل أنواعها يوميا في القسم ، في الساحة وحتى خارج المدرسة ولا تعالج المدرسة هذا المشكل ويلجأ التلميذ المعرض للمضايقة إلى أولاد حيه أو أصدقائه في القسم فقط"

يتبين لنا مما سبق أن المدرسة بصفة عامة لا تقوم بدورها عند تعرض التلاميذ للحوادث و المشاكسات من طرف أقرانهم ولا تعمل على تحقيق الأمن إذ يعبر عن ذلك تلميذ في سن الخامسة عشرة:

"إن التلاميذ الكبار يضايقون التلاميذ الذين جاؤوا مؤخرا مثلي وأن المراقبون والأساتذة لايهتمون بهذه الأمور"

6- تصور التلاميذ للأمن في مدرستهم

النسبة المئوية	التكرار	مستوي الأمن في المدرسة
51.60%	253	المدرسة مكان غير آمن بتاتا
22.90%	112	المدرسة مكان آمن أحيانا
14.50%	71	المدرسة مكان آمن نوعا ما
02.90%	14	المدرسة مكان آمن بما فيه الكفاية
08.20%	40	المدرسة مكان آمن جدا

وأخيرا يتضح من النتائج أعلاه أن المضايقة بين الأقران موجودة فعلا بالمدرسة ولها تأثير كبير على المناخ الدراسي ، فهي تخلق راحة التلاميذ وتعيق استمتاعهم بحياة دراسية هادئة ومطمئنة خاصة أن 51.60% من التلاميذ أي نصف عينتنا يجدون مدرستهم غير آمنة بتاتا . ونسبة 11.10% فقط من عينة البحث يرون مدرستهم آمنة جدا أو بما فيه الكفاية. أما باقي التلاميذ فغير واثقين وغير متأكدين من وجود الأمن في مدرستهم ويعتبرونها آمنة أحيانا أو نوعا ما.

وانطلاقا مما سبق تبقى المدرسة مكانا حيويا ومؤثرا في حياة التلاميذ ومسارهم الدراسي حيث يلعب الراشدون معلمون أو مراقبون أو إداريون دورا في متابعة وتأطير التلاميذ ومرافقتهم في المراحل الحساسة من حياتهم الانفعالية والشخصية ومساعدتهم على بناء علاقات اجتماعية سليمة مع أقرانهم.

فالمدرسة حسب بعض النظريات تلعب دورا إيجابيا إزاء السلوكات الجانحة ، إذ يشير الباحث (Hirschi 1969) إلى أن المدرسة تقي وتحمي من الجناح لأنها مكان يتعلق فيه الأطفال بأشخاص يدافعون عن القيم الإجتماعية الإيجابية "pro-sociales" وحيث تلعب الصداقات دورا

هاما في توافق المراهقين كما تسمح المدرسة باكتساب مستوى تعليمي عالي و القدرة على التعبير مما يسمح بتحكم أحسن في الذات (Cité par Roché;2004)

و لكن المدرسة في بعض الأحيان قد تشكل مصدر ضغط مستمر ،يهدد راحة التلاميذ ويزعزع ثقتهم وإحساسهم بالأمن ، ذلك ما أشار إليه الباحث الاجتماعي (1955) Cohen حيث أن الطفل الذي لا ينجح في الانسجام مع إنتظارات معلمه قد يعيش ضغطا و يؤدي به فشله إلى الثورة ضد معايير مدرسته و مجتمعه .وهذه من بين النظريات التي تؤكد على دور المدرسة في صنع السلوكات الجانحة إذ تعتبر نظرية الروتينيات الجانحة (théorie des routines délinquantes) أن المدرسة تتميز بحشد الشباب الجانحين ذوي السلوك المضطرب أو العدوانى عموما ، مع عدد من الأطفال و المراهقين قد يشكلون على المدى البعيد أهدافا كامنة وسهلة المنال للتلاميذ العدوانيين وخاصة إذا لم تحظ المدرسة بالرقابة المنتظمة (Cité par Roché;2004) .

إذن المدرسة قد تكون واقية من العنف وسلوكات الجنوح والإدمان وقد تسهم في دفع التلاميذ إلى استعمال العنف لحماية مصالحهم وحقوقهم في غياب السلطة والقانون .ليس ذلك فحسب فإن المراهق إذا فقد التقبل و الإستحسان بصفة متعمدة ومستمرة في هذه المرحلة من حياته يؤدي به إلى فقد الثقة في نفسه والانسحاب والدخول في حلقة مفرغة من الشعور بالفشل والكآبة وفقدان تقدير الذات .وقد أشارت بعض الأبحاث إلى هذه الآثار على أنها خطر منذر بالضغط ما بعد الصدمة لدى بعض الضحايا المتعرضين للمضايقة على المدى الطويل إذ تعتبر (2002) Blaya أن الضحايا يعيشون تحولات في شخصيتهم ،يلجئون إلى سلوكات التجنب والخوف.فالإضطرابات النفسية والإكتئاب تحل محل الإضطرابات الوظيفية الأولى كالضغط ،الأمراض السيكوسوماتية والقلق.وفي بعض الأحيان يكون الإنتحار المخرج الوحيد.هذه الآثار تبدو جد خطيرة لدى بعض التلاميذ كما صرحت به تلميذة في سن الخامسة عشرة:

" المضايقة هي أمر سلبي بالنسبة للتلميذ حيث أنها تؤثر به نفسيا مما يحبطه ويجعله يشعر بالاحباط والخوف أحيانا خاصة إن كان يملك عقدة نفسية وخاصة إن كانت المضايقة من طرف الأولاد غير متخلقين أو حتى بنات وهذه الظاهرة يمكن أن تحطم التلميذ وتبعده عن هدفه

حتى لو كانت المضايقة في أمر المظهر أو الكلام وأعني بهذا أن يشتم التلميذ عن طريق لباسه وكلامه"

وقد أشارت دراسة بإحدى المدارس الأسترالية (Limber:2002) أن الأطفال الذين صرحوا بتعرضهم للمضايقة على الأقل مرة في الأسبوع يصرحون بتمنيهم للموت وكرههم للدراسة وللحياة. ذلك فعلا ما لمسناه من تصريحات بعض التلاميذ إذ تقول إحداهن في سن الخامسة عشرة: "نعم ليست مكانا آمنا بتاتا لأنهم يرون الباطل أمامهم ولا يتدخلون وأقول بكل صراحة أنني كرهت الدراسة بسبب هذه الأمور التي تحدث بتكرار". كما عبرت تلميذة أخرى في سن الرابعة عشرة عن ذلك: "أنا حقا كرهت هذه الدنيا من شدة ظلمها في المدرسة تكون المعاملة غير لائقة، يظلمون، يشتمون، يسبون الضعفاء كرهت هذه الدنيا بشدة وأنا حقا أتمنى الموت على أن أبقى في هذه الدنيا الظالمة"

الخلاصة

إن كره الدراسة وفقدان الاهتمام بها و الميل إلى التغيب لتجنب المعتدين وكره الدنيا لعدم دفع الظلم عن الضعفاء والملل من العيش وتمني الموت تعد من الآثار الخطيرة التي لمسناها عند بعض تلاميذ عينتنا وهي غير مرئية عموما ولا يمكن أن يتقطن إليها المعلم إلا إذا آمن بأن إنصاف التلاميذ وضرورة حمايتهم من اعتداء من هم أكبر أو أقوى منهم وتعويد التلاميذ على احترام بعضهم البعض وتجنب سلوكيات التجريح اللفظي و السخرية و التهديد والإيذاء المعنوي والمادي فيما بينهم هي القاعدة الأساسية الأولى في العملية التربوية. لذلك اعتبر Olweus (1997) أن الإحساس بالأمن في المدرسة والحماية من كل أشكال الظلم والاضطهاد والمضايقات والمطاردة هي حق ديمقراطي وأساسي للطفل.

فالمضايقة المعنوية حسب Fontaine (2003) تحطم الفرد بنفس الدرجة مثل الاعتداء الجسدي وخاصة أن مظاهر العدوانية تتغير مع النمو وتتخذ طابعا اجتماعيا حيث تتطور الأشكال غير المباشرة في حين أن مظاهرها المباشرة تتناقص. إلا أن العدوانية غير المباشرة تصعب محاربتها لأنها تكون غير مرئية غالبا إلى جانب عدم تقدير الراشدين

لآثارها المسيئة للضحايا . ذلك ما جاء في تعبير تلميذة في سن الرابعة عشرة:

" المضايقة شيء لاعقلاني لأن بعض الناس يحسون أنهم بلا فائدة ويتسبب ذلك في الملل من العيش وخاصة بأشياء ليس لها تصرف فيها كصورة خلقك أو شيء من تلك الأمور وأطالب أن تتوقف هذه المضايقة لأنها تجرح قلب الإنسان بجرح لا يلتئم أبداً".

وعلى أساس ما سبق نقترح على الهيئة الوصية "وزارة التربية الوطنية" أن تقوم بمسح واسع لكل مدارس الوطن للكشف عن مدى انتشار هذه الظاهرة والمناطق الأكثر معانات لها والعوامل المتسببة فيها وإعداد برامج تدخل خاصة بتوعية العاملين بالمحيط المدرسي ، معلمين ، مراقبين وأولياء بخصوصيات هذه الظاهرة ، أشكالها المرئية وغير المرئية ، أعراضها والآثار القصيرة والبعيدة المدى التي يمكن أن تتجر على مستوى الضحايا والمعتدين . وتدريب المعلمين على تقنيات الحوار السلمي و البناء والتدخل لضبط العلاقات والتفاعلات في القسم واستبدال أساليب النبز والشتم والإذلال بأساليب الحوار وتقبل الآخر واحترام شخصيته وآرائه. كما نقترح عليها إعداد برامج خاصة من طرف إدارات مختصة مثل مستشاري التوجيه المدرسي والمختصين النفسيين المدرسيين للتكفل بالتلاميذ وتشخيص كل من الضحايا والمعتدين وتحديد أنواع العلاج وأسلوب الإرشاد المناسب مع إشراك كل من الفريق التربوي والإداري للمدارس لمواجهة مظاهر العنف الظاهرة والخفية في المدرسة.

